لكن الوعد والسفه والوعيد لم تقلقل للوغد عزيمة، ولم تسلب أحداً فيهم مثقال حبّة من خردل ممّا دخله من إيمان. وصبر النجرانيّون هؤلاء على سَفال الطغام الأرذال، ولم يزد جوابهم على كلمة طيّبة، تلفّظوا بها وحسبهم ا، قالوا: سلام عليكم ... لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه[675]. وآبت إلى الجهالة الشرذمة الضالّة. ومضى خلفاء حواري ابن مريم أولاء، على دربهم إلى نجران، وأعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ، وأصابوا من الهداية، فكان مثلهم ومثلهم كمن قال فيهم القرآن: (وَمَن يَهْدِ اُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ كُلّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً)[676]. * * * مشاهد وصور أعداد، كهذا المشهد وذاك، وهذه الصورة وتلك، كانت تتبدى بين اليوم والآخر، للزهراء، وهي أغلب الأحايين في حجرتها الصغيرة، ووراء الجدران. فأذنها تلتقط الأحاديث، وبصرها يجسّدها في أحداث. فالأخبار لا تني[677] تطرق عليها الباب، فتدخل بإذن أو بغير استئذان، والوقائع أثير ينفذ من المادة الصمّاء. ما من أمر كان يدور بالبلدة الحرام غاب عنها سرّه، وهي التي كانت تعيش الكفاح النبوي بكلّ ما لامرئ سويّ الخلقة من حواسّ.